مكتبة الأسرة تناضل للتخلص من فساد دام أكثر من عشر سنوات:

اصدارات تخلو من الكتب الرديئة لكن الشعر ما يزال في الزاوية العتمة

سمير سرحان

ناصر الانصاري

قاسم امين

ابن خلدون

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

يواصل مشروع مكتبة الأسرة ـ الذي تصدره هيئة الكتاب تحت اشراف حرم رئيس الجمهورية ـ خطواته المسوسة نحو شيء من الجدية، وتجاوز ركام الفساد الواسع الذي تركه الراحل الدكتور سمير سرحان معششا في أضابير المشروع.

فها هي السنة الثانية للمشروع في عهد رئيس هيئة الكتاب الدكتور ناصر الأنصاري، وقد اختفت تماما تلك الكتب سيئة السمعة لرؤساء تحرير الصحف الحكومية وبعض الصحف المعارضة، وحاول المشروع العودة الى الدور المنوط به في منح قارئه البسيط مكتبة زهيدة الثمن تؤثر في نقله ايجابيا الى مرحلة أكثر وعيا، ولا نقول ان المشروع تخلص من كل سوآته، وان تجاوز بعضها، وهو مطالب بتدعيم صفوف لجنة اختيار الكتب المنشورة بمزيد من المثقفين من مختلف الأجيال.

في العام الجاري أصدر المشروع عددا وفيرا من تجربة شعراء جيل السبعينيات وكذلك فعل في العام الماضي كذلك أصدر عددا من الشعراء الرواد من حقبة الرومانسية، كذلك أصدر عددا من الكتب اللافتة مثل الأعمال الكاملة لـ«يوجين يونسكو» وكتبا مرجعية مثل: الموسيقى الشعبية المصرية لمحمد عمران، معنى الحياة لألفريد آدلر ترجمة عادل نجيب، والتصوير عند العرب لأحمد بك تيمور وتاريخ الموسيقى المصرية لسمير الجمال، ومقدمة ابن خلدون كاملة في ثلاثة أجزاء، وتناقضات الحداثة في مصر للدكتور أحمد أبو زيد، والبحث عن العقل للدكتور نور فرحات والوجه الغائب لمصطفى ناصف، كذلك أعاد طرح بعض الرواكد القديمة في غلاف جديد يحمل عنوان مشروع العالم الجاري وهي حيلة تلجأ اليها الهيئة لتصريف مخزونها من الكتب الراكدة.

ولا شك أن المشروع أعاد نشر عدد كبير من تراث المكتبة العربية والأجنبية، عبر سنواته الماضية لا سيما مشروع النهضة الذي تضافرت جهوده مع مطلع القرن الماضي، وفي هذا السياق أعاد المشروع الاعتبار لأسماء مهمة من هذا الرعيل مثل محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، طه حسين، رفاعة الطهطاوي، قاسم أمين، أحمد لطفي السيد، هذا الى جانب ابتعاث أسماء ضاربة في عمق الثقافة العربية مثل المعري، ابن سينا، ابن رشد، ابن عربي، وهو ما حدث على المستوى الابداعي والفكري، كما استطاع المشروع عبر سنيه المبكرة، وعلى سبيل المثال، اصدار الكوميديا الالهية، رسالة الغفران، بدائع الزهور، تاريخ الثورة الفرنسية، مروج الذهب، الفتوحات المكية، الأمير لميكيافيللي، الجمهورية لأفلاطون، تهافت التهافت لابن رشد، كليلة ودمنة، تهافت الفلاسفة، والتاريخ الجامع لهيرودوت، بالاضافة الى اصداره عددا من المراجع المهمة والتي يأتي من بينها موسوعة مصر القديمة لسليم حسن والتي تقع في ستة عشر جزءا وتاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر لعبدالرحمن الرافعي ويقع في ثلاثة أجزاء ضخمة، بالاضافة الى عدد من الكتب الفكرية المهمة مثل: تاريخ الفكر المصري في العصر المسيحي، فضلا عن المختارات الابداعية المتميزة لكبار شعراء العربية، وكذلك اصدار عدد من الروايات والمجاميع القصصية، التي تمثل علامة في تطور القصة والرواية العربيتين.

وقد ساعد السعر الزهيد والمدعوم الذي تباع به كتب واصدارات المشروع على اتاحة الفرصة لعدد غفير من العامة الذين يطمحون الى الارتباط بشكل ما بالمعرفة الجادة أن يقتنوا العديد من هذه الاصدارات، لا سيما وأن ذلك يأتي في ظل ارتفاع غير محتمل في أسعار الكتاب على المستوى العام، فضلا عن أن نسبة التوزيع المرتفعة بشكل مذهل أكدت خطأ الافتراض الذي يروج له الاعلام بأن اهمال المثقف والثقافة ناتج من فساد المنتج الثقافي نفسه وغيابه، وقد أثبت الاقبال الرهيب على شراء كتب المشروع عكس هذا الافتراض، بل على المستوى المقابل يثبت سوء الطوية والجهل الذي تتمتع به أجهزة الاعلام المختلفة.

ورغم هذه النجاحات التي لا يمكن انكارها الا أن ذلك لا يمنعنا من لفت الانتباه الى عدد من الملاحظات مثل أن المشروع في جملته لم يكن بريئا كل البراءة في توجهه نحو القارئ العام والانشغال بانشاء مكتبة لكل مواطن، إذ المؤكد أن في مصر من يكدحون ليل نهار ولا يبلغون لقمة العيش الكريمة سواء لهم أو لأولادهم، وما عُرف عن الدولة في مصر منذ السبعينيات أنها اعتمدت دائما على تغليب خيار القوة والبطش في تعضيد وجودها، وجاء التوجه الثقافي والاعلامي بصفة عامة ـ تأكيدا على هذه العقيدة.

ولم تكن الثقافة أبدا قائدة للعقل الأمني، بل ما كان يحدث ولا زال هو العكس تماما، والعامة ـ فيما أظن ـ يعلمون المأزق الرهيب الذي وقعت السلطة تحت سنابكه منذ بداية التسعينيات في المواجهات المسلحة مع التيارات الدينية، وهي الحقبة التي شهدت أعلى درجات العنف في القرن الحالي منذ جلاء الانكليز عن مصر، وقد وصل الأمر بالسلطة أن قتلت بعض قيادات هذا التيار وسط الشوارع، ومن جانبه رد التيار نفسه بأعمال عنف متبادلة كانت أكثر احراجا للنظام، ولم يكن آخرها تلك التفجيرات التي حدثت في منطقة الأزهر وشرم الشيخ ومنطقة دهب في سيناء.

في ظل هذه الاختناقات السياسية والمجتمعية المتلاحقة، شهدت وزارة الثقافة نشاطا محموما توجه بالأساس الى البحث عن المنابع الجادة والمتنوعة للثقافة العالية وثقافة الحقبة الليبرالية على وجه أخص، وهي المنابع التي كانت ـ ذات الدولة ـ قد قامت ـ عن عمد ـ بتجفيفها، وبدأ المشروع ما يسمى، بالمواجهة، وكأن الاعلان عن توجهه واصداراته صريحا وغير ملتبس، وكان يقصد مواجهة التيارات الأصولية الموصومة بالارهاب والخروج على شرعية الدولة.

وقد أصدرت هذه السلطة عددا من الكتب ذات الشأن في تاريخ الثقافة المصرية التي تنامت في النصف الأول من القرن الماضي مثل كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» لطه حسين، وطبائع الاستبداد للكواكبي، والمرأة الجديدة لقاسم أمين، والاسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، وعدد آخر من مؤلفات التنويريين المصريين، وكانت معظم هذه الاصدارات تمثل مرجعية شديدة الأهمية في الثقافة المصرية، الا أن الأمر الذي شكك في مصداقية المشروع، هو الارتباط بالمشروع السياسي الأمني الذي يهدف الى تصفية تيارات سياسية مناهضة، وقد حاولت الدولة أن تضيف الى هذين البعدين بعدا اجتماعيا يمثل ما يشبه الاجماع على هذه التصفية، وهو ما لم يحدث حتى الآن، وكان فرسان المواجهة يعتقدون أن الأمر سيدين لهم في نهاية الأمر عبر المشروع الثقافي غير أن المؤكد هو امتصاص سطح الأزمة عبر الحل الأمني ذي الصفة المؤقتة.

بعد ذلك توسع المشروع وتولدت فكرة مكتبة الأسرة أو القراءة للجميع، وهي فكرة تولدت من رحم مشروع المواجهة بعد أن هدأت عدة العنف نسبيا، واستطاع هذا المشروع أيضا أن يقدم انجازا غير مسبوق في تمكين العامة من التنزه عبر صفحات المرجعيات التي سمعوا عنها فقط، ولم تكن فكرة توسيع المشروع الا في اطار توجه الدولة الذي أشرنا اليه، والذي كان يتبناه أولا مشروع المواجهة.

وحتى تكتمل أهداف المشروع فقد حاولت الدولة ربطه بشكل وثيق بالآلة الاعلامية لتحقيق أكبر قدر من الترويج لكتب المشروع وتعميم الفائدة عبر تلك الوسائط الجهنمية، لكن الأمر سرعان ما تحول ـ لأسباب لا نعلمها ـ الى دعاية لأصحاب الآلة الاعلامية نفسها، وليس لمطبوعات المشروع، غير أن الظاهرة توارت في العامين الأخيرين بعد امتناع الهيئة عن طبع مقالات رؤساء تحرير الصحف والصحافيين في كتب سنوية يحصلون من خلفها على أعلى الأجور على الاطلاق، رغم أنها عادة ما تكون لكتاب رديئين، بالاضافة الى أنصاف وأرباع الشعراء والقصاصين والروائيين من صغار الصحافيين والاذاعيين وكبار المسؤولين بوزارة الثقافة.

غير أن الملاحظ في السنوات الأخيرة هو تقلص التمويل المقدم للمشروع عبر سبع وزارات تساهم في تمويله، لذلك كثيرا ما يعمد الى اعادة طرح الأعمال الراكدة لديه من السنوات الماضية بعد تغيير غلافها ووضع أغلفة جديدة، حدث ذلك بالنسبة لعديد من كتب المشروع مثل الوجه الغائب لمصطفى ناصف، وكذلك لبعض اصدارات طه حسين وأحمد لطفي السيد وتوفيق الحكيم وآخرين.

ولا شك أن المشروع يستطيع أن يقدم ما هو أفضل من أدائه الحالي بكثير لا سيما بعد أن تراكمت به خبرات وكوادر اصبحت تمثل رصيدا مهما له، ولا زالت مشكلة قصر الأعمال المطبوعة على الأعمال القديمة من الأشياء التي تهدد المشروع وأصبح من الضروري وضع تصور أوسع لاستيعاب الأعمال الأحدث، غير سابقة النشر عبر خطة تعكس توجهات المشروع، وتبقى كذلك مشكلة عشوائية النظر الى الابداع مسيئة للكثير من المبدعين في خارطة الابداع المصري والعربي، فعبر هذه السنين الطوال للمشروع لم ينجح في خلق سياقات ابداعية متميزة وتتصف باقامة الاعتبار للمعيار الابداعي واختلط الحابل بالنابل، ووقع المشروع بين قلة جيدة وكثرة رديئة، حتى تلك المختارات التي صدرت لكبار الكتاب العرب، صدرت ميتسرة وبطريقة لا تمثلهم، وأظن أن قطاعا حقيقيا من الشعر المصري الجديد تم استبعاده ولا زال، بسبب الموقف المتكلس من ظاهرة التجديد.

أسلوب ورقة التوت

حسن بن عثمان*

■ هذه ليست قراءة في لوحات المعرض الأول للفنانة التشكيلية التونسية الشابة إكرام مهنّي في فضاء الحبيب بوعبانة الذي يديره الهاشمي غشام، وذلك خلال النصف الثاني من نهاية عام 2006، وهي نهاية صارت مشرقة بفعل توقيع فنانة شابة. وكم هو رائع حين يلتقي الفن مع الشباب في لحظات نادرة وفي توديع زمن مغلق مشرف على نهايته، نصطلح على تسميته سنة مثلا.

هذه تأملات أو تفاعلات لغوية مع لوحات ورسومات غير مهادنة ولا ساذجة. رسومات لها سطوة ولها صدى عميق بحيث جعلت الثعابين والأفاعي والسماسرة والغاوين يخرجون من جحورهم ومن بياتهم الشتوي، ومن مؤامراتهم الصغيرة، ومن عطالتهم، ومن ريبتّهم، دون أن يخرجوا من عدوانيتهم وحقدهم الأزلي على الحياة ومقترحاتها الفنية وغير الفنية.

هل ثمة حياة بلا عري؟ بلا غواية؟

بلا ورقة توت؟

أين ورقة التوت؟

لعلها غابت في النتوءات والتشققات والفجوات والتعرجات والتلوينات.

رسومات لا تعترف بشيء لدى إكرام مهنّي، حتّى بورقة التوت.

ماتت ورقة التوت.

أكلها اللون. أكلها الحجم. أكلها الإصرار. أكلتها الحركة الثابة الباسلة، حركة فيها التهوّر وفيها الاندفاع والحكمة، كما لو أنها أبدية في ثباتها. أكلها الفضاء، ولم يأكلها الوقت الذي يشتاق كل فن أن يكون في مطلق زمانه.

الموت، أو الزمن، زمن اللوحة، أكل ورقة التوت.

حين حضرت الفنانة الشابة جعلت الموت شيئا مشيئا، جعلت الموت يموت، حتّى لا يتمكّن من أكل التوت. أكل الورقة. ورقة فقط. لكن لم تسمح له أن يأكل ثمرة واحدة من ثمار التوت. وكان سرّها في ذلك تميمة التعرية. رسمت رسومات عارية فزغ منها الموت. مرّة عرّت الرسومات الأنثوية، ومرّة عرّت اللوحة من الرسومات وأبقت بعض اللطخات والتكوينات العارية من المعنى والمليئة بالحيرة. تعرّت الرسومات لتكون هي التوت وأوراق التوت.

رسومات في حياة؟

بل هذه حياة. هذا عراء حقيقي. عراء أوّل ليس فيه أدنى عورة.

عراء لا دنس فيه، لا بذاءة، لا ابتذال، لا سفاهة ولا قبح.

كما ليس فيه طهر ولا تقوى ولا قداسة ولا تبتّل.

عراء مثل العراء.

تشبيه الماء بالماء.

فيه الشهوة، نعم. وفيه الإغواء ووعود بالروعة والرعب.

حين يتعرّى الجسد البشري، في الواقع، يتذكّر الماء أو يتذكّر الفراش. يحنّ إلى النظافة والطهر أو يكون حنينه للجنس. أما حين يُعرّى من قبل الآخرين فغالبا ما تكون التعرية إما معالجة أو تعطيبا للجسد وانتهاكا له، سواء بتعذيبه المادي أو الرمزي، بالاعتداء عليه أو بالمتاجرة به.

لا جمال للعري إنما له وظيفة.

العري أخرس لا يتكلّم. يتحرّك نعم، ويُصدر أصوات وكلمات دون نسق لغوي، بل لعل نسقه شكلي تكويني. العري يلغي وظيفة اللغة، لأنه يستحوذ على الوظائف كلّها، ولا يرضى إلاّ بأن تتم معاملته مباشرة ودون وسيط.

لم يكن العري يوما طفولة بل هو تنهيدة أو صراخ.

العري يستحي من الحياة مثلما يستحي من الموت.

ثمة القماطة منذ البداية وثمة في النهاية الكفن. قماطات الثقافة في البداية وفي النهاية.

هل ثمة رسومات ترتدي ملابس؟

طبعا. طبعا. بل ثمة الكثير من القماطات. الكثير من الرسومات ترتدي الحجاب ومنها من يرتدي النقاب وأغلبها يهدد بالموت والعقاب، أو من يَعِدُنا منها بحسن العاقبة وبالثواب. كلّها من عمل من كان لهم عمل في الحياة دون أن يُوفُوه حقّه.

لكن الفن كان دائما عمل من لا عمل له.

كان دائما هو العمل. مطلق العمل. مسألة مجانية شأنه شأن الحياة وشأن الموت أيضا، لكن بلا ورقة توت، إنما بقماط أو كفن، بمشيئة الثقافة التي يرغمها الفن الحقيقي أن تتقبل عراءه.

وتذكرنا، إكرام مهنّي، على يفاعتها وصِغر سنّها بالفن جامحا ومجانيا وعاريا.

ذكاؤها الفني يعود إلى شباب عمرها الذي وضعها في مواجهة نفسها، وليس في مواجهة أحد، لتتعرف على بديهتها الصائبة والصعبة. التي بقدر ما تثير الدهشة تثير الشفقة من هذه الموهبة التي ألمّت بالرسامة. التفت إلى ما يخصّها بصفتها صاحبة جسد وتحررت من كل الأوهام، متسلحة بالدهشة والبراءة والاحتفاء والشباب.

رسوماتها تحلم بامرأة عارية. امرأة لها قدمان صغيرتان في حذاء جلدي كبير، برغم الفائض الفيّاض في مخيلتها لتكويرات الأنثى وفجواتها.

في رسوماتها ثمة الكثير من تفاصيل المرأة، لكن ليس ثمة امرأة ولا رجل، كمقترحين جنسيين أو اجتماعيين، ولا كالتقاء منظور وحسيّ. ثمة خصوبة الأنثى بصفتها الأنثوية المنزهة من الشهوات والنزوات والمراودات والمرضعات، وأكاد أقول من الحياة.

يا لحظّها الابداعي. يا لملاكها الملهم. يا للعذاب الذي لا يعرف عقابا ولا ثوابٌ. (ثوابا).

ثقافة العين تخاف العري. لماذا؟

هل لأن العري يسفّه الثقافة ويلغيها.

العري ليس بحاجة إلى الثقافة، إلى أي نوع من أنواع الثقافة. هل أن العري هو الطبيعة في عنفوانها حيث لا ترغب في أن يسترها شيء. في أن يشوّهها شيء. في أن لا يلتصق بها وفيها شيء إلاّ ما هو من جنسها ومن نوعها. العري لا يطلب ولا يمكن أن يتفاهم إلاّ مع العريّ.

العري ليس فنّا وليس طبيعة، بل لعلّه أسلوب مسلوب من الحياة.

أسلوب!

* روائي وقاص من تونس

في أول مهرجان لشعراء القارات الخمس:

موريتانيا تقترح الشعر للتقريب بين الثقافات

نواكشوط ـ «القدس العربي» ـ من عبد الله السيد:

تحت شعار «من أجل تواصل دائم بين الثقافات»، تجمع شعراء عرب وآخرون من مبدعي القارات الخمس في العاصمة الموريتانية نواكشوط ضمن أول مهرجان للشعر والشعراء تنظمه وزارة الثقافة الموريتانية. واستهدف هذا اللقاء الأدبي الكبير الذي افتتحه الوزير الأول الموريتاني، البحث عن طرق لاستغلال الكلمة الشاعرة في تضميد جراح شعوب عالم يرزح تحت الحروب ويتشظى تحت بؤر التوتر.

وتقدم موريتانيا نفسها للعالم من خلال هذا المهرجان بصفتها أرض المليون شاعر التي لم تشهد فترة انحطاط الأدب التي مر بها المشرق العربي حسبما أكد محمد كابر هاشم رئيس رابطة الأدباء الموريتانيين.

وأكد الوزير الأول الموريتاني سيدي محمد ولد بكر في كلمة باسم الرئيس الموريتاني أن مهرجان الشعر يجمع نخبة من أبرز شعراء العالم من جميع القارات ومن مختلف الحضارات والمرجعيات ليتناولوا سويا موضوعا ذا بعد استراتيجي بالنسبة لمصير البشرية جمعاء ألا وهو التواصل بين الثقافات.

وقال «ان اختيار الشعار الذي يلتئم تحته هذا المهرجان (من أجل تواصل دائم بين الثقافات)، لهو اختيار موفق وملائم لأن من أصعب التحديات التي تواجهها المدنية الحديثة في ظل العولمة الجديدة ظاهرة التعصب والتطرف والانغلاق على الذات وعدم قبول الآخر، ومعلوم أن هذه أمراض لا تشفى الا بمرهم الحوار والتواصل الدائم بين الثقافات والحضارات ليفهم بعضنا بعضا ويستفيد كل من كل في جو من المحبة والتسامح».

وأضاف ولد بكر قائلا: «.. ولقد برهن التاريخ على أن هذا هو السبيل الوحيد الذي تتمكن به البشرية ذات الأصل الواحد من العيش على هذا الكوكب الواحد ذي المصير الواحد».

وأشار الى أن «.. في قلوب الشعب الموريتاني فراغ لا يسده الا الشعر ونحن في موريتانيا شعب يحب الشعر ويتذوقه ويحتل الشعر مكانة مرموقة في تراثه وحاضره ولا شك في مستقبله، فسيشارككم في متعة هذا المهرجان الآلاف من المواطنين خارج نواكشوط وداخلها وسيشارككم البدوي في خيمته والعامل في ورشته والطالب في محظرته والفلاح في مزرعته».

وخلال مداخلة لها أمام المهرجان أكدت وزيرة الثقافة الموريتانية مهلة بنت أحمد أن موريتانيا بتنظيم هذا اللقاء الجامع تقدم اسهاما أصيلا في تحقيق هدف انساني عالي نبيل، يتمثل في التئام الضمير الانساني الحي لكل الحضارات تحت قبة واحدة، ممثلا في شعراء مبدعين، أقبلوا من كل فج عميق، مساهمين بابداعاتهم في انشاد رائع شنف أسماع العالم من مشارق الأرض الى مغاربها بسيمفونية تناغم كونية، تستوحي من ينابيع الالهام ألحانا شجية منوعة، على ايقاع موحد، فيها من كل ابداعات الدنيا لمحة أو رنة، ومن كل أحلام الشعراء حلم مجنح».

وخاطبت الوزيرة الموريتانية الشعراء الحاضرين قائلة «..انكم بالاصرار على تنظيم هذا الحفل الشعري العالمي ـ رغم تزاحم مهمات المرحلة ـ انما تعبرون عن ادراككم العميق أن الشعر في جميع الحضارات رائد أحلام البشرية، والمعبر عن خيالها الخلاق وتوقها الى عالم تتعايش فيه جميع الألوان والأعراق وشتى صنوف الأفكار، وأنه التعبير الأسمى عن ضمير العالم في سموه وتعاليه على النوازع الأنانية ومعانقته للقيم السامية، قيم الخير والحب والجمال.

واذا كانت بؤر التوتر والتحولات التي عرفها العالم في أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن، تضيف الوزيرة بنت أحمد، قد أسفرت عن تصدع العديد من البنيات التي كانت تنتظم العالم، مؤدية الى اختلال التوازن هنا أو هناك، والى مزيد من الاحباط والشعور بالغبن لدى من كانت الترتيبات على حسابهم، فدفعت بهم الى الانجراف أحيانا في مسالك العنف والتطرف والكراهية العمياء، فان رسالة الشعر اليوم هي الاسهام بقوة في استعادة التوازن في العلاقات بين البشر، من خلال تعرية أشكال الزلل والدعوة الى رفع الظلم عن المظلوم واعادة الأمل والبسمة الى من طحنتهم الأيام، وبذلك يقدم الشعراء ـ كما قدموا دائما ـ البلسم الشافي لأدواء هذا العصر ضمنه فضيلة الحوار بين الثقافات بمضمون جامع يلتزم بقضايا الانسان الكبرى، فقد مهدنا طرائق وسبلا تلج منها بسلاسة الى دروب التواصل الحميم بين شعوب العالم.

ويتضمن برنامج هذه التظاهرة مجموعة كبيرة من العروض التي تتناول الشعر الشعبي والشعر الفصيح والشعر الموريتاني المعاصر ومكانة الشعر في الساحة السياسية ودور الشعر في التقارب بين الشعوب وامكانية القفز بأجنحة الشعر فوق النزاعات السياسية كما يتضمن البرنامج أمسيات شعرية وقراءات في دواوين معاصرة وحلقات لنقد الشعر وسهرات فنية يمتزج فيها الشعر بالموسيقى.

شعراء الأرض ليثبتوا للعالم أن الرؤى يمكن أن تلتقي وأن الأحلام يمكن أن تتناغم حتى في اللحظات الحرجة، وأن الانسان ـ مهما اختلفت الملل وتباينت النحل ـ هو الانسان بهمومه وآماله، بحزنه وفرحه. وتابعت الوزيرة الموريتانية «..ان وقوفنا اليوم أمام المخاطر التي تواجهها الحضارة الانسانية، بكوكبة كبيرة من شعراء العالم المؤمنين برسالة الانسان، وأمانته على الأرض، وضرورة التعايش عليها بأمن وأمان... هو في جوهره اسهام بارز في معركة حفظ البقاء الانساني ضمن دائرة الوجود، واسهام معتبر في استنقاذ الانسان كي يبقى معافى على ارض الله التي استخلفه فيها».

وشددت الوزيرة الموريتانية في مداخلتها على أهمية رسالة الشعر مؤكدة أن الشعر من أرقى ما ابتدعته البشرية عبر تاريخها وأجمل ما عبرت به عن نفسها، فاذا منحناه مدى كافيا للتعبير عن نفسه بحرية، وأتحنا له أفقا يثبت فيه تنوعه الكبير، ويمارس حتى تتصالح البشرية مع ذاتها وتستعيد العلاقات الانسانية حالتها الطبيعية سلاما ومحبة وتعاونا بين الناس.

وموريتانيا، تقول بنت أحمد، التي شكلت أرضها على مر التاريخ ملتقى للحضارات وموئلا لتلاقح الثقافات وللتعاطي الخصب بين المذاهب والشعوب والأفكار، تعتبر نفسها معنية بالأسئلة والتحديات المطروحة على الحضارة الانسانية اليوم، منشغلة بكل أنة ألم أو نداء استغاثة يتوجه الى الضمير الانساني، وهي مستعدة لمواصلة دورها المحوري في التقريب بين الأمم والدفع بحوار الثقافات من خلال استضافتها لهذه النخبة من

رياض الريس: «السويس.. حقائق حديثة عمرها نصف قرن»

بيروت ـ من جورج جحا:

يثير رياض نجيب الريس في كتاب جديد له قضايا واحداثا سياسية مر عليها نصف قرن لكنها في مدلولاتها واثارها لا تزال مفاعيلها وما يشبه انماطها تتردد في منطقة الشرق الاوسط. ويعرض الريس بأسلوب قصصي سلس مشوق وبعقلية مؤرخ موضوعي ما سبق حرب السويس سنة 1956 ويركز على ما أعقبها وهو كثير ومهم شكل احداثا كبرى في المنطقة وفي العالم. وبكثير من المعلومات المتعة الموثقة يظهر لنا كتاب «الحرب المنسية.. السويس 1956» دور الصحافة البريطانية الحرة في احداث التغيير لا في بريطانيا فحسب بل في اماكن اخرى أيضا. وتبدو أحداث حرب السويس عندما نسترجع بعضها أشبه بمسودة لمشاريع تتكرر بشكل او اخر على مسرح السياسة والاعمال العسكرية في منطقتنا وفي كثير من مناطق العالم. يخرج رياض نجيب الريس من دراسته هذه بخلاصة مهمة اذ يختم بالقول «تشير أزمة السويس بعد نصف قرن من حدوثها الى نقص في تفسير التاريخ قوامه أن الذين لا يستطيعون تذكر الماضي محكومون باعادته دائما. وقد يكون هذا صحيحا لكن الاصح أن الذين يسيئون تفسير الماضي محكومون بعدم اتقان التعامل مع الحاضر. حذار». جاء الكتاب في نحو 100 صفحة صغيرة القطع وصدر عن دار «رياض نجيب الريس للكتب والنشر».

استهل الكتاب بما سمي «مقدمة شخصية» تحدث فيها عن وصوله الى انجلترا في اغسطس اب 1956 وكان السير انطوني ايدن رئيسا لوزراء بريطانيا خلفا لونستون تشرشل. وكان جمال عبد الناصر رئيسا لمصر وزعيما عربيا كبيرا «وكانت غيوم ازمة قناة السويس والحرب التي تبعتها قد بدأت تتلبد والسماء السياسية مكفهرة... ووجدت نفسي وأنا الشاب اليافع في حدود الثامنة عشرة من العمر... وسط عالم سياسي يغلي بالاحداث الجسام والمتغيرات التي لم يألفها» اذ كانت ثورة الجزائر على الاستعمار الفرنسي في اوجها والثورة على النظام الشيوعي في المجر ومشهد الدبابات السوفييتية وهي تضرب العاصمة بودابست في كل صحف العالم وكانت ثورات التحرر في افريقيا السوداء وحركات الاستقلال من الاستعمار البريطاني والبلجيكي والبرتغالي والفرنسي تنتشر كالنار من شمال القارة الافريقية الى جنوبها ومن شرقها الى غربها. رياض الصحافي والكاتب والناشر والشاعر في بداياته اضاف يقول انه كان يرصد هذه الاحداث التاريخية الكبرى ويعيش تداعياتها ويتابعها عن طريقين «طريق الصحف قراءة ومتابعة وطريق الصحافيين الذين تعرفت اليهم في حمأة تلك الظروف وشكلوا لي مرجعية ساهمت في اغناء ثقافتي السياسية ووعيي التاريخي». وانضم الى المنظمة العربية الوحيدة في تلك الفترة اي «رابطة الطلاب العرب في المملكة المتحدة وايرلندا» وقد ضمت اعضاء في احزاب جماعات عربية مختلفة. وكانت الاجواء في تلك الايام «اجواء سمحة بين الانجليز والعرب وليس فيها من تشنج هذه الايام». وقد تعرف الى شخصيات بريطانية سياسية وصحافية مختلفة قام عدد منها بادوار مهمة وتوثقت صلاته بعدد منهم. من هؤلاء ايان كامبل المحامي ومدير قسم الابحاث في حزب العمال البريطاني «الذي كان له الفضل في تعريفي بمايكل فوت الذي بدوره عرفني الى اديث سمرفيل وزيرة الصحة السابقة في حكومة العمال والناشطة في الحزب» وكثير غيرهم. وكان يدعوه وطلبة عرب اخرين الى كل التجمعات الحزبية والنقابية التي تقام ضد حكومة ايدن في لندن لتحشد فيها التاييد لعبد الناصر وكان اهم من تعلق بهم فنر بروكواي النائب العمالي ورئيس حركة حرية المستعمرات «وتكرر ظهوري معه الى درجة ان مجلة « جويش كرونيكل « اليهودية نشرت صورته معه وهاجمت النائب البريطاني. واعتمد في الكتاب اساسا على الصحف البريطانية «وحكاية ازمة السويس هي حكاية صحافة ذلك الزمان وصحافيه اما المصادر الرسمية لتلك الفترة التاريخية فكثيرة جدا ..». ومن خلال «جريدة محدودة الانتشار في حينه تعرفت... على قضيتين اساسيتين تلازمتا زمنا طويلا... تأميم قناة السويس... والعدوان الثلاثي كما اعتدنا ان نسميه».

وفي السبعينات من العشرين انتقلت الصحيفة الى لندن وصار اسمها «الجارديان» فقط وهي احدى اهم كبريات الصحف الليبرالية البريطانية اليوم «وكانت تغطيتهالازمة السويس عدائية ومزعجة الى درجة ان ايدن حاول منع هيئة الاذاعة البريطانية «بي.بي.سي» من نقل ما تكتبه في مجال اقوال الصحف ومنع مندوبها ريتشارد سكوت من التحدث في الاذاعة». وطرح ايدن مشروع قانون خطيرا يقضي باستيلاء الحكومة على البي.بي.سي. والغاء استقلالها القانوني اذا تم غزو مصر. الا ان المشروع لم يتحقق». وتناول الكتاب بالتفصيل التنسيق الذي قام بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل لغزو السويس بل طموح ايدن الى اسقاط نظام عبد الناصر على رغم انكار هذا الاتفاق في البداية. وتحدث عن الموقف الامريكي الرافض للغزو ونقلت الجارديان عن دالس قوله انه يشعر بانه من «الصعب اخلاقيا الدفاع عن هذا العمل الذي لن يتفهمه العالم والذي سيؤدي الى تحطيم الامم المتحدة». وتحدث الريس عن الاهداف السياسية والاقتصادية الامريكية الخارجية والداخلية التي جعلت الرئيس الامريكي دوايت ايزنهاور يعارض الغزو ويحبطه خاصة بالضغط على بريطانيا ماليا وقد كانت في وضع قريب من الانهيار المالي. من نتائج ذلك كما قال الريس أن «أخذت حجارة الامبراطورية» البريطانية تنهار. فقد ايدن مركزه واستقال. تفككت الجمهورية الرابعة في فرنسا... عندما أضحت امريكا هي القوة العظمى المسيطرة على التحالف الغربي وبدا السعي عند العديد من الاوروبيين نحو ايجاد قوى أوروبية بديلة أصبحت في ما بعد كيان الاتحاد الاوروبي كما نعرفه اليوم». في كتاب الريس معلومات كثيرة يتلقفها القارىء بمتعة. (رويترز)

رياض الريس (القدس العربي)

من كان لم يكن

ياسين رفاعية*

■ هل صحيح ان السعداء والمنهمكين بأعمالهم يتضاءل عندهم الشعور بالوقت؟

يقولون: الوقت يحيا في الجمود ويموت في الحركة. اعرف ثرياً لا يحمل في يده ساعة، واذا سألته عن الوقت يقول لك بسخرية: «ما بعرف.. شوف بدي بالوقت.. يأتي يذهب كما يشاء».

وقرأت مرة عن ثري آخر، اختار نسيان الزمن تماما، فاشترى يختا وأبحر في بحار الله الواسعة، متحديا الزمان.. لا يريد ان يعرف بداية الاسبوع من نهايته، لأنه حريص على امتصاص السعادة حتى الرحيق الأخير. لكن على المنعطف الآخر نجد ان الفقراء والمرضى والمشردين حياتهم سلسلة متواصلة من المتاعب والمشاكل والآلام، هؤلاء يساورهم القلق والهم وانهم معرضون للزوال في اي لحظة. واحدنا يساوره القلق اليومي من الحياة التي لا تمشي الى جانبنا.. انه مهدد دائما: في الرزق، في الصحة، كارثة ما تهبط فجأة، هنا نحس بوطأة الزمن، العقبة الكأداء، الزمن الذي يؤلمنا الى هذا الحد لأن الاحساس به هو في حد ذاته احساس بالفناء والعدم. انه جلادنا الحقيقي، انه اشد والعن من كل صنوف العذاب. انه اصل كل تلك المشاعر التي لا تنتج عن دوافع معينة او اسباب خارجية: الكآبة المبهمة، القلق من المجهول، الضجر، اليأس الذي يسحقنا فجأة من دون ان نعرف له مصدرا او غاية.. هكذا نحن الفقراء في الارض محكوم علينا بالعذاب المؤبد طالما انه يحمل في اعماقه الساعة اللعينة التي «تتكتك» كالعلة الخفية من خلال نبضات القلب.

نعم، لا شر في هذه الدنيا، ولا خير يدوم، وما نشعر به من عواطف ليس سوى سندات نشتريها على غير علم منا من القدر. وهنا يستبدلها عند استحقاقها، دون سابق انذار او رحمة، من حياتنا التي هدرناها بغير طائل وبلا معرفة، والتي يحلو له ان يضعها قيد التحصيل: «ان الزمان، هو قوام الحياة وهو داؤها. انه وقف على الماضي فقط، فلكي يحقق نفسه يجب ان يكون قد انقضى واصبح فائتا، انه، لكي يوجد يجب ان لا يعود موجودا. انه الفناء. ومن هنا اقترانه بالألم والمرارة، لا نكاد نعول على المستقبل وننتظر مجيئه حتى يصبح هو نفسه ماضيا. كما انه لا توجد نقطة واحدة من الحاضر نستطيع ان نقول عنها انها كائنة الآن. انها تدوم حاليا، كلها كانت ودامت، انجزت مهمتها وقطعت المسافة المعطاة لها». اذا لا حاضر ولا مستقبل، الماضي هو الحقيقة الوحيدة، كما صرح بذلك الكاتب الاميركي فولكنر: «لا انسان هو ما هو الآن، انه مجموع ماضيه، لا يوجد شيء نستطيع ان نسميه الماضي، لان الماضي موجود في الحاضر، انه في كل برهة جزء لا يتجزأ من كل رجل وامرأة، جميع جدودهما، وخلفيات حياتهما. انه قسم من ذواتهما في كل حين. وهكذا فان انسانا ما، شخصا ما في قصة، ليس في كل لحظة من الحدث ما هو حاليا بالضبط، انه كل ما فعله في السابق». فكل دقيقة جديدة طبقة اخرى تضاف الى كثافة الزمن، الزمن المتراكم دقيقة بعد دقيقة وساعة بعد ساعة واسبوعا وشهرا وسنوات وقرونا الى ملايين ملايين الاعوام ودورات الارض والشمس والقمر.

هل نستطيع تجميد الزمان؟

ابدا. انه الثقل الشديد على ظهورنا واكتافنا. انه هو، بكل عجرفته يلوح فوق رؤوسنا بالنهايات، واننا مجرد عابرين في هذ الحياة المثقلة بغموضها.

ان الانسان لا يستطيع التنصل من ماضيه، وعبثا نحاول التخلص من ضغط الزمن، الذي يشدد الخناق علينا بسبب الفراغ الذي نعيش فيه، وكنت غالبا انظر الى الساعة التي تتكتك دون توقف فأتمنى لو احطم زجاجها واقتلع عقربيها وارميهما في المنفضة، لكن الساعة تتحداني وتستمر ويدور عقرب الثواني باصرار شديد: ها انت تكبر وتذهب من عمرك الثواني واحدة بعد الاخرى. ان الانسان الغارق في ذاتيته ووحدته وعز